تفسير سورة الأنفال (35-40)

{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35) }

{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ {صلاة المشركين }عِنْدَ الْبَيْتِ {العتيق }إِلَّا مُكَاءً {وهو الصفير }وَتَصْدِيَةً{ وهي التصفيق. قال ابن إسحاق: ما كان صلاتهم التي يزعمون أنها يدرأ بها عنهم إلا مكاء وتصدية، وذلك ما لا يرضى الله ولا يحب، ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به. {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } قال ابن جرير: فذوقوا: أي اطعَموا، وليس بذوق بفم، ولكنه ذوق بالحس، ووجود طعم ألمه بالقلوب. يقول لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون أن الله مُعَذّبُكُم به على جحودكم توحيد ربكم ورسالة نبيكم صلى الله عليه وسلم.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) }

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ{ في حرب النبي صلى الله عليه وسلم ودينه }لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ{ أي: ليصرفوا الناس عن دين الله {فَسَيُنْفِقُونَهَا {في حربهم }ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً{ أي: ندامةً وخزياً وذلاً {ثُمَّ يُغْلَبُونَ{ فتذهب أموالهم وما أمّلوا {وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ{ أي: يجمعون إليها، ليذوقوا عذابها.

{لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37)}

{لِيَمِيزَ} أي ليفصل{اللَّهُ الْخَبِيثَ} الكافر {مِنَ الطَّيِّبِ} من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران {وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ} أي: فوق بعض {فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا} أي: يجمعه فيجعله في جهنم {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} أي هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (38) }

{قُلْ {يا محمد }{لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا} عن الكفر، ويدخلوا في الإسلام {يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} أي: ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام، أخرج الشيخان عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: »مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلاَمِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلاَمِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ.« وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص: »أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟« أخرج مسلم {وَإِنْ يَعُودُوا {أي يستمروا على كفرهم }فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} أي فقد مضت سنتنا في الأولين؛ أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39)}

{وَقَاتِلُوهُمْ }وقاتلوا أيها المؤمنون الكافرين {حَتّى لَلا تَكُونَ فتْنَةٌ} أي: لَا يوجدَ شرك ولا يفتنَ مؤمن عن دينه {وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ للّه} أي: ويكون الدين خالصاً لله وحده، ليس فيه شرك {فَإِنِ انْتَهَوْاَ} عن الكفر {فَإِنّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لا تخفى عليه منهم خافية.

{وَإِنْ تَوَلّوْا فَاعْلَمُوا أَنّ اللّهَ مَوْلَلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النّصِيرُ (40) }

{وَإِنْ تَوَلّوْا} عن الإيمان، واستمروا على خلافكم ومحاربتكم {فَاعْلَمُوا أَنّ اللّهَ مَوْلَلاكُمْ} ناصركم ومعينكم {نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النّصِيرُ} ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه.